

كافيات كليلة ودمنة

17

الجرذ و السنور



يقدم : ا. عبد الحميد عبد القادر
برئاسة : ا. محمد الشافي سيد
إشراف : ا. محمد مصطفى



يُحكى أنَّه في مكانٍ ما كانت توجد شجرة عظيمة ، هائلة الضخامة ..
 وأنه تحت هذه الشجرة كان يوجد جحرٌ سنور يُطلق عليه اسم (رومي) .
 وأنه قريباً منه كان يوجد جحرٌ جرذ يُطلق عليه اسم (فريدون) .
 وكانت بين (رومي) و (فريدون) عداوةٌ شديدة ، منذ زمن ، فلم يكن
 أحدهما يحب الآخر ، بل كان يأمل في الخلاص منه .
 وكان هذا المكان مليئاً بالطيور والحيوانات ، فكان الصيادون يرتادونه
 كثيراً للصيد .



وذاث يوم قُدم إلى هذا المكان صيادٌ ماهِرٌ ، فنصبَ شبكته بالقرب من جُحرٍ
(رومي) ، ثُمَّ ذهبَ لِقضاء بعض حاجاته ، حتى يقعَ في الشبْكة صيْدٌ .

وسرعانَ ما خرجَ (رومي) من جُحره ، فوقعَ في الشبْكة ، ولمَ يَستطع أنْ
يُخرِجَ منها .

وبعدَ قليلٍ خرجَ (فريدون) من جُحره ، باحثاً عن شيءٍ يأكله ، وهوَ خَذِرٌ
كُلَّ الخَذِرِ من عَدُوِّه (رومي) .

وفجأةً رأى الخِرْدُ غريمه السنورَ داخلَ الشبْكة ، فاستبشرَ بذلك خيراً ، وقالَ
في نفسه :

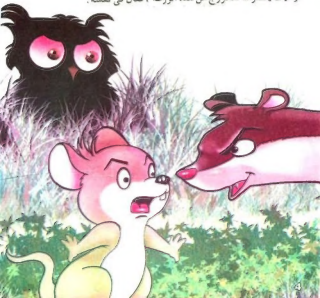
— قدَ خلّصني اللهُ منَ عَدُوِّي اللدودِ إلى الأبدِ . سرعانَ ما يأتِي الصيادُ ،
فيأخذه ، ويسلخُ جلده .



وبينما الجرذ (فريدون) شارد في خواطره السعيدة هذه ، رأى بومة واقفة على غصن الشجرة ، فخاف منها ، والتفت خلفه ليهرب ، فرأى (ابن عرس) مترعباً به ومستعداً لاختطافه ، فخاف الجرذ وقال في نفسه :

-إذا رجعت ورأيتني اختطفني ابن عرس ، وإن تقدمت أمامي القترستي السور ، وإن ذهبت يمينا أو شمالاً اختطفني البومة .

وهكذا وقف الجرذ المسكين متحيراً في أمره ، وهو لا يدري ماذا يصنع ، وكيف يتصرف للخروج من هذه الورطة ، فقال في نفسه :



— هذا بلاءٌ عظيمٌ قد أحاط ، وشروءٌ كثيرةٌ قد تجمعتُ حولي ، ومحنٌ كثيرةٌ قد ابتليتُ بها ، ولكن أحمد الله على أنه أعطانني عقلاً ذكياً ، فلا يفزعني شيء ، ولا تفتلني الدهشة ، ولا يتمزق قلبي رعباً من هول كل هذه المخاطر التي تحيط بي ، فالعقل هو الذي يحسن استخدام عقله في مثل هذه المواقف الخطيرة ، ليخرج من المحنة بسلام .

وبعد تفكير سريع ، قال الجرذ في نفسه :

— لست أرى لي مخرجاً من هذا البلاء إلا مصالحة السُّور ، والاتفاق معه ، حتى وإن كان أعدى أعدائي ؛ لأنه قد نزل به من البلاء مثل ما قد نزل بي .. المهم أن ينصت إلى كلامي ، ويثق أن لي بحائي نجاته ، فيوافق على معارفتي إياه .



وتقدم الجرذ من السنور ، فقال له :

- كيف حالك أيها الغريم القديم ؟

فقال السنور في ضيق :

- في ضنك وضيق ، وأظن أن ذلك يسرُّك ..

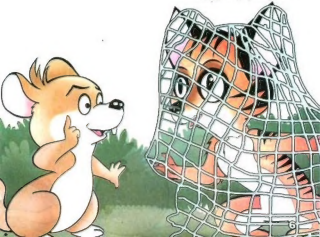
فقال الجرذ في لهجة صادقة :

- كيف أسرَّ بذلك ، وأنا الآن شريكك في البلاء ؟ ! لقد جئت إليك أعرضُ

عليك أن تترك العداءة قليلاً ، حتى ينجو كلانا من هذه الحنة .. ولئن أنني

صادق في كلامي ، وأنه لا نجاة لي إلا بخلاصك من هذه الشباك .. من الأفضل

أن ننجو معاً بدل أن نهلك معاً .



فقال السنور :

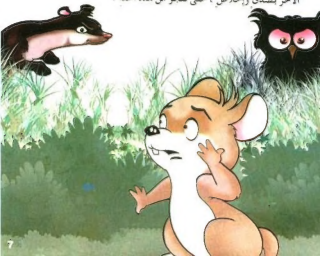
- ما الذى يدرينى أنك صادق فى كلامك ، وأنها ليست خُدعة من خدعك ؟

فقال الجرذ بلهجة صادقة :

- إن ابن عرس كامن لى من الخلف ، والبومة متربصة لى من فوق الشجرة ، فإن أعطيتنى الأمان قرضت حبال الشبكة ، وخلصتك من هذه الورطة .

فلما رأى السنور ابن عرس كامنا من خلف الجرذ ، والبومة متربصة له فوق الشجرة ، أدرك صدق كلامه ، ورغبته الجادة فى مساعدته ، فقال له :

- لقد تحققت من صدق كلامك ، أنا أيضا راغب فى الخلاص من هذه الشبكة اللعينة ، فلمبذة عداوتنا جانبنا ، ولنشاهد على أن يساعد كل منا الآخر بصدق وإخلاص ، حتى نتجبر من هذه المحنة .



فقال الجرذ :

- اتفقنا .. سادو منك الآن طالما أنك قد أعطيتني الأمان ، وأقرض حبال الشبكة كلها إلا حبلًا واحدًا أبقيه . ولن أقرضه إلا في اللحظة المناسبة التي أختارها أنا .

فتعجب السنور وقال :

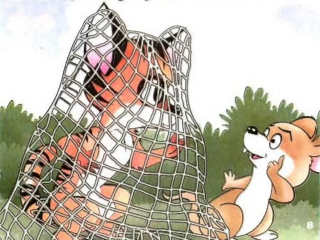
- ولم تترك هذا الحبل دون قرض ، وتبقيني أسيراً بسببه ؟!

فقال الجرذ :

- هذا الحبل سوف أستبقيه ، حتى أستوثق لنفسى منك .

فقال السنور :

- أنت وما تحب ، طالما أنك لست واثقاً منى ، حتى بعد أن أعطيتك الأمان .



وبدا الجرذ يعمل في هِمةٍ ونشاطٍ على قرص حبال الشبكة . فلما رأى ابنُ عرس واليومَةُ أن الجرذ بدأ في قرص حبال الشبكة ، ينس كُلُّ منهما من انصراله ، وابتعد كُلُّ منهما ؛ ليبحث عن صيدٍ آخر .

ولما رأى الجرذ أن الخطر قد زال ، أخذ يتكاسلُ في قرص حبال الشبكة . وأحس السنور بذلك ، فقال له :

— ما لي أراك متكاسلاً عن قرص حبال الشبكة .. هل شعرت بالأمان لأن أعداءك قد رحلوا ، فلا تريد أن تُمَّ العمل الذي عاهدتني عليه .. إنَّ وعدَ الحرِّ دينٌ عليه ، والكرم لا يقصر في حقِّ صاحبه ، فلم يردَّ عليه الجرذ بكلمة ،



واستمر السنور مذكراً إيَّاهُ بما اتفقا عليه قائلأُ :

ـ لَقَدْ كَانَ لَكَ فِي سَابِقِ مَوْدَتِي مِنَ النِّفْعِ وَالْفَائِدَةِ مَا لَا تُنْكِرُهُ ، وَلِهَذَا فَأَنْتَ مُدِينٌ لِي وَيَجِبُ أَنْ تَخْلُصَنِي مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ اللَّعِينَةِ .. لَا تَذْكُرِ الْعِدَاوَةَ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ، لِأَنَّ الَّذِي حَدَّثَ بَيْنَنَا مِنَ الصَّلَحِ يَجِبُ أَنْ يُنْسِيكَ ذَلِكَ .
وسكت السنور قليلاً .. ثم استمر قائلأُ :

ـ إِذَا كُنْتَ قَدْ نَوَيْتَ الْغَدْرَ بِي ، فَإِنِّي أَذْكُرُكَ أَنَّ عَاقِبَةَ الْغَدْرِ وَخِيْمَةٌ ، وَأَنَّ الْكَرِيمَ لَا يَكُونُ إِلَّا شُكُورًا غَيْرَ حَقُودٍ .. وَإِنْ أَسْرَعْتُ عِقُوبَةَ هِيَ عِقُوبَةُ الْغَدْرِ ، وَإِنْ مِنْ يَتَضَرَّعُ إِلَيْهِ النَّاسُ فِي الْخِنَةِ ، وَيَسْأَلُونَهُ الْعُقُوبَةَ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ ، فَلَمْ يَرْحَمْ وَلَمْ يَغْفُ هُوَ غَادِرٌ .



فكلم الجرذ أخيراً ، وقال بعد طول صمت :

.. إن الصديق نوعان .. صديق طائع مختار ، وصديق يكون بالاضطرار ،
وكلاهما يبرجو المنفعة ، ويحترس من المضرة .. فأما الصديق الطائع المختار ،
فهو الذى يأمنه المرء فى جميع الأحوال .. وأما الصديق بالاضطرار كما هو
حالى معك الآن ، ففى بعض الأحوال يأمن المرء إليه ، وفى بعض الأحوال يتخذ
حذره منه .. ولكن اطمئن فأنا موف لك بما قطعته على نفسى ، من تخليصك
من هذه الشبكة . لكننى أيضاً محترس منك ، خشية أن يصيبنى ما أُلجأتى إلى
مصالحتك . وأجارك أنت إلى قبول الصلح منى .



فقال السنور :

ـ هذا الوفاء منك يُحسبُ لك في ميزان حسناتك .

وقال الجرذ :

ـ سوف أمضي في عملي ، فاقطع الحبال كُلِّها ، إلا عقدة واحدة سوف أتركك مربوطاً فيها ، ولا أقطعها إلا في اللحظة التي أراك فيها مشغولاً ، حتى لا تقفز عليّ وتأخذني . وذلك عندما أرى الصياد قادماً نحونا .

وعاد الجرذ بواصل عمله في قرع حبال الشبكة ، حتى ظهر الصياد ، فقال له السنور :

ـ أسرع وإلا أخذني الصياد .



فقال له الجرذ :

- اطمئن .. لم تبقَ إلا آخر عُقْدة .

وفي اللحظة التي وصل فيها الصياد قرض الجرذ العقدة الأخيرة ، فقفز السنور فوق الشجرة ، واختبأ الجرذ في جحره ، والصياد ينظرُ بدهشةٍ وذهولٍ إلى شبكته الممزقة .. ثم حملها ورحل .

وبعد قليل خرج الجرذ من وكوره ، وخاف أن يقترب من السنور ، فتأذاه السنور قائلاً :

- أيها الصديق اخلصِ الناصح ، لماذا لا تقترب مني ، حتى

أجازيك خيراً على ما قدمت لي من معروف ؟ !



فَظَلَّ الْجُرَذُ فِي مَكَانِهِ مُحَافِظًا أَن يَقْتَرِبَ مِنْهُ ، وَاسْتَمَرَّ السَّنُورُ قَائِلًا :
- تَعَالَى إِلَيَّ يَا أَخِي وَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي ، لِأَنِّ مِنْ اتَّخَذَ صَدِيقًا وَقَطَعَ رَجَاءَهُ حُرْمٌ
ثَمَرَةُ إِخَانِهِ ، وَبِئْسَ مِنْ مَنْفَعَةِ الْإِخْوَانِ وَالْأَصْدِقَاءِ لِبَعْضِهِمْ .

فَظَلَّ الْجُرَذُ وَاقِفًا فِي مَكَانِهِ مُحَافِظًا مِنْهُ ، وَلَمْ يَنْطِقْ بِكَلِمَةٍ ، بَيْنَمَا رَاحَ
السَّنُورُ يَنْسُبُ لَهُ بِأَعْلَظِ الْإِيمَانِ بِأَنَّهُ صَادِقٌ فِي مَوَدَّتِهِ لَهُ ، وَأَنَّهُ رَاغِبٌ فِي
مَكَافَاتِهِ عَلَى الْمَعْرُوفِ الَّذِي قَدَّمَهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ الْجُرَذُ :

- رُبُّ صَدَاقَةٍ ظَاهِرَةٍ ، لَكِنَّهَا تَعْمَلُ فِي بَاطِنِهَا عِدَاوَةً كَامِنَةً ، وَهِيَ أَشَدُّ
خَطَرًا وَحُزْرًا مِنَ الْعِدَاوَةِ الظَّاهِرَةِ .. وَمَنْ لَمْ يَحْتَرَسْ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ الصَّدَاقَةِ



يكون مثل الرجل الذي يركبُ ناب الفيل الشائر ، ثم يغلبه النعاس ،
فيستيقظ ليجد نفسه تحت أقدام الفيل ، فيدوس عليه ويقتله .. لقد سُمي
الصديق صديقاً لما يرحوه المرء من نفعه ، وسمي العدو عدواً لما يخافه المرء من
ضرره .. والعافل هو الذي إذا رجا نفع العدو أظهر له الصداقة ، وإذا خاف ضرر
الصديق أظهر له العداوة .. لقد زالت الآن صداقتنا ، فاتركني وشأني .
وعيناً حاول السور أن يفتح الجرة بأنّه صديق له ، وليس عدواً كما كان في الماضي .
فقال له السور ، بعد أن يش منه :

.. أنت وما تحب يا أخى ..



وقال له الجرذ :

— أنا الآن أحبُّ لك من البقاء والسلامة ، ما لم أكن أحبُّه لك من قبل ، وكل ما أرجوه منك أن تُعاملني بمثل ذلك .

فقال السنور :

— وأنا أرجو لك ذلك .

وهكذا عاد كُلُّ من الجرذ والسنور إلى حياتهما القديمة ، بعد أن جمعت بينهما الصداقة في لحظات الخطر .

(تمت)

رقم الإصدار: ١٧٧٧٧٧ / ٢٠٠٢

الطبعة الأولى: ٢٠٠٢ / ٩٧٧

